فهو كالتفسير للاستيئاس اي استشعروا الياس من اجابة الرسل اليهم (لهم) واستحكم
ظنهم بعدم الاجابة بمحالة لذلك وقيل لنوح عليه الصلاة والسلام حين قال انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فتم عند ذلك امر التبليغ والتكليف به ولم يبق
بعده الا رجاء الفتح نجاهم النصر فيما بانه فلم يستفد الفتح ولا تاخر الياس
لانه كان النصر بالياس وهذا وفق المناسب وقرى بالتخفيف اي كذبهم من كانوا يعدهم
من قومهم لسان مقالهم او لسان حالهم وهذا طبق معنى قراءة التثقيل فعلى ما ذكرنا اشكال
في تفسيرهم الجميع انه اخذ بالظاهر ما كان فهم قبل معرفة اقوال الناس غيره سيما في قراءة
التثقيل وهي وانا اول ما طرق السمع فعلى هذا يكون التقدير وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحى اليهم فبلغوا قومهم كما امروا حتى اذا قضوا من ذلك وطرا وظن عدم الفائدة وتاكد
عندهم ولم يبق لهم مطمع الا بالفتح بينهم وبين قومهم جاءهم ما انتظروه قوله تعالى لقد كان
في قصصهم الاظهر عود الضمير الى اهل هذا القصص العجيب وقراءة قصصهم بكسر القاف
توافق ذلك لان هذا القصص يشتمل على قصص سورة الرعد قوله تعالى زوجين اثنين
فسر على ظاهر اللفظ انه خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين كما في ادم وفسر بان
المراد الابيض والاسود والحلو والحامض والكبير والصغير وان الزوجية راجعة الى التناظر
بين شيئين متقابلين وهو بيان الالوان غير مقصورة على اثنين والطعوم كذلك ولم يعتبر
الشيئين دون الاشياء والمقام مقام امتنان وبيان للاقتدار فقولنا ان ولد التمر
من المطعومات مثلا ابلغ من زوجين اثنين منها فيكون هذا التفسير بعيد لكن ان
الاول لذلك ما لم يرد نص صريح بمقتضاه ولم لم يجعلوا التثنية للتكثير كما في قوله فارجع
البصر كرتين ولبيك وسعديك ونحو ذلك قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات الذي
نفهم مما سيق له الكلام هو اثبات الاختيار وقطع حجاج اهل الكد باستواء الاسباب
مع اختلاف ما نشا عنها فلو كان ذلك بدون مختار لتساوت المسببات لاستواء اسبابها
وهذا تقتضي ان الغرض من ذكر تجاور القطع استواؤها في التربة والماء والهواء ثم لم
تخرج عن ذلك ثمار مختلفة وتخرج من الاشجار ثمرات مختلفة وهذا مما لا
نشك فيه فتفسيرهم القطع المتجاورات انها طيبة وسبخة يفت في عضد المقصد
المذكور ثم من اين فهم افتراقهما الى طيبة وسبخة وليس في الكلام ولا في السياق
ما يشعر به ثم نصير على زعمهم ان الله خلق ارضا مختلفة التربة فيكون هذا لا بد
فكيف يرتب على ذلك اختلاف الثمرات اذ يقال العلة اختلاف التربة فلو قيل الحقيقة

والواقع

والواقع انها تختلف بذلك بل كل منها ينبت الاشجار المختلفة وتخرج عنها الثمار
المختلفة انما تختلفان باعتبار اخر كما في قوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا فلذا فلا اثر لذكر انقسام القطع المتجاورة الى طيبة
وسبخة في ذلك منافيا لمقصود الكلام وفوق كل ذي علم عليم قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم
اي ان طلبت عجبا لا اعجب منه فهو انكارهم البعث مع هذه الايات ولذا رتب
عليه التوبيخ بعدهم عن الانصاف وتوعدهم وهذا يدل على ان مدلول هذه الايات
قد ادركها كل عاقل او تمكن من ذلك تمكينا فهاهنا لا يحتاج الا الى ادراك الايات
ولذا خاطبوا بالاستفهام الاستنكاري في مثل افلا تعقلون وذلك يقتضي
ان ولا يلزم من هذا نفي المقلد في اصول الدين وقد اختلفوا فيه اشد الاختلاف
انا جاهر لا وتوقف كثير لتعارض الادلة بزعمهم قلنا ما ذكرناه حكم بينهم فما فيه الكلام
وكل ناظر غير مقلد والمقلد منحصر في الغافل غفلة اصلية او المتغافل والمتشاغل
بعد ركاك وهذا الغافل هو الذي يقول في القبر سمعت الناس يقولون شيئا
فقلته وقد حكمت عليه السنة بانه مثل الكافر المعاند وذلك موافق لمدلول الكتاب
كما ذكرنا وعلى هذا الابعد في من ظاهرهم الاسلام المتشاغلون بالترف والمقاصد
الدنياوية ان يكونوا مقلدين غير مخلصين عند الله وكم جلف صحيح الايمان
قد شهد له بذلك عند ناسوط الخوف وزمام الرجاء وبذل النفس والنفيس
لله وكم منصور بصورة الفقيه في الدين قد حجب عن ذلك لغفلته فهو بمنزلة من يحجب
عن رؤية المحسوس وهو لا يشعر به لغفلته ولذا قال تعالى او القى السمع وهو
شهيد فاذا كانت الغفلة تمنع ادراك البصر فما ظنك بادراك البصيرة وهما مشتركان
في انهما الة للعقل وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومبحثنا في هذه الاحكام
المستندة ما هو اوفى من هذا وليس الهادي غيره قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم ومحله الحال اي ظالمين كذا في الكشاف ثم فسره صاحب الصغيرة
او بالتائب من الكبيرة واعترضه في الانتصاف بانهم لا يسمون ظالمين ح وفسره بالامهال
الصور له وجه على ضعفه وذلك ان العقاب يتوجه على العاصي من اول العصيان
الى ما لاحد له فاذا لم يوقع عليه ما يستحقه من الزمان يعد غفرا لهم ما كان حقه
ان يقع في هذه الامهال ومثل هذه الاية ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى والذي يسوغ عندي انهم لكل

اي مع ظلمهم

Copyright © King Saud University